

موقف الرأي العام العربي تجاه أسباب التخلف ودور الجامعة العربية

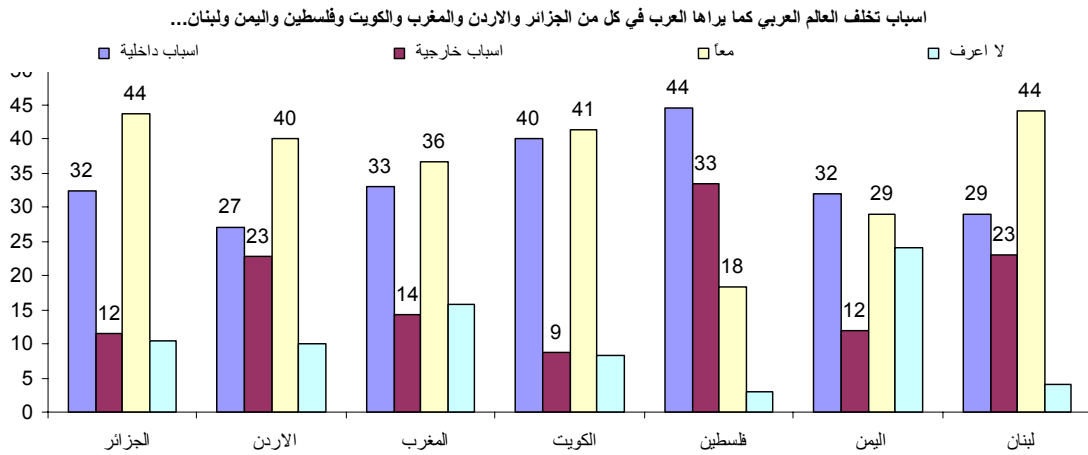
د. فارس بريزات

مركز الدراسات الإستراتيجية، الجامعة الأردنية

f.braizat@css-jordan.org

هنالك عدة قضايا ذات أهمية للرأي العام العربي مثل أسباب تأخر العالم العربي مقارنة ببقية المناطق في العالم، فاعلية الجامعة العربية، الثقافة الأمريكية والغربية والإرهاب وغيرها الكثير. ولعله من المفيد إلقاء نظرة على الرأي العام اليمني مقارنة بالرأي العام في عدد من البلدان العربية الأخرى للتعرف على مدى الاختلاف والتوافق. تبين نتائج استطلاع مقياس الرأي العام العربي في اليمن أن اليمنيين وبنسبة وصلت إلى 32% يرجعون عدم تطور العالم العربي مقارنة مع العوامل الأخرى لعوامل داخلية. في الوقت الذي عزى 29% أسباب عدم التطور إلى عوامل داخلية وخارجية معا بينما عزى 12% ذلك إلى عوامل خارجية و 24% أبدوا عدم معرفتهم بأسباب تخلف العالم العربي. ولا يختلف الرأي العام اليمني في هذا المجال عن الرأي العام في الدول العربية الأخرى المشمولة في هذا الاستطلاع وإن اختلفت في الدرجة. إذ تشير البيانات إلى أن نسبة الذين يعزرون تخلف العالم العربي لأسباب داخلية هي أعلى من نسبة الذين يعزونها لأسباب خارجية في جميع المجتمعات المشمولة في هذه الدراسة كما يوضح ذلك الشكل رقم 1. ويبدو أن الافتراض الذي يربط بين ظروف المجتمع في بلد ما وتقييم ذلك المجتمع لأسباب التخلف الذي يعاني منه العالم العربي هو افتراض منطقي. ولغايات تطوير هذه الفكرة بشكل أكثر لا بد من العمل مع هذا الافتراض دون فحص دقته ومطابقته العلمية لواقع الحال في المرحلة الحالية. ولكن سيكون لنا عودة لهذا الموضوع في وقت آخر.

الشكل رقم 1.



وتقدم البيانات الواردة من لبنان (تم تنفيذ الاستطلاع هناك في أواخر عام 2007) الإشكالية بشكل واضح. حيث نجد أن 44% من اللبنانيين يعزرون سبب تخلف العالم العربي لأسباب داخلية وخارجية مجتمعة. ونجد ذات النسبة في الجزائر. والمشارك بين لبنان والجزائر هو أن البلدان شهدا حروباً أهلية خلال العشريين سنة المنصرمة وكان حجم التدخل الخارجي فيهما كبيراً. ففي الحرب الأهلية اللبنانية امتد التدخل من الدولة العبرية وأدواتها إلى فرنسا وأدواتها وإيران وأدواتها وسوريا وأدواتها ناهيك عن القوى الأخرى التي لم يكن تدخلها بارزاً ولكنه مؤثر. ولكن الحالة اللبنانية بتعددتها غير المدنية (الطائفية والعرقية والدينية) تستدعي التدخل الخارجي بحكم العلاقات الدينية والطائفية والسياسية التي تمتد بشكل متبادل بين الداخل والخارج. ولا يختلف الحال في الجزائر كثيراً عنه في لبنان. المجتمع الجزائري أكثر انسجاماً من المجتمع اللبناني من حيث التركيبة العرقية والطائفية والدينية ولكن التدخل الفرنسي والأمريكي خصوصاً والأوروبي عموماً شكل عوامل ضغط في القرارات السياسية والأمنية الداخلية في الجزائر مما يجعل الذاكرة الجزائرية مليئة بالأمثلة حول التدخل الخارجي وأثره في تشكيل حياة الناس. لذلك لا غرابة في أن نجد أن الرأي العام في هاتين الدولتين يُعطي العوامل الداخلية والخارجية معاً أعلى النسب مقارنة بالمجتمعات العربية الأخرى.

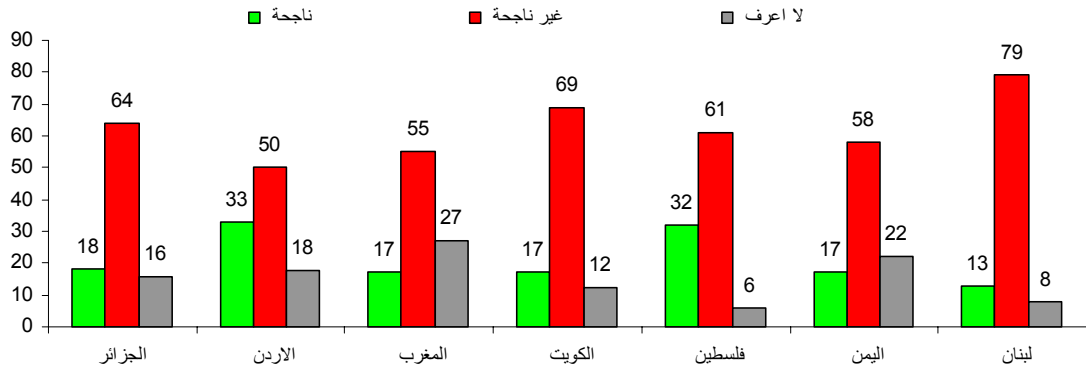
أما اليمن فلم تتعرض للتدخل الخارجي كما تعرضت كل من لبنان والكويت والجزائر والأردن خصوصاً بعد أن توحدت. الحرب الأهلية التي دارت في اليمن في التسعينات لضمان الوحدة تمت على الأغلب بدون تدخل خارجي يذكر. ولم تتمكن أي قوة من السيطرة على اليمن وتوحيدها. لذلك يمكن القول أن المجتمع اليمني بقي يتأثر بديناميكياته الداخلية مما انعكس على تقييمه لأثر العوامل الخارجية في تخلف العالم العربي.

أعطى الرأي العام في كل من الأردن والكويت نحو 40% للأسباب الداخلية والخارجية معاً. وهنا نجد بعض المشتركات التي تؤدي لمثل هذا الموقف. فكلما المجتمعين اجتازا محن أمنية كبيرة في التاريخ المعاصر. عانت الأردن من الحروب العربية الإسرائيلية وخسرت الضفة الغربية لدولة الاحتلال العبرية وعانت كثيراً نتيجة لذلك. كما عانت الكويت من الاحتلال العراقي عام 1990 وما جلب من تدخل خارجي مباشر أثر في حياة الناس وتطور الدولة.

الحالة الفلسطينية تُثير كثير من التساؤلات. إذ أن الاحتلال الهتمي وغير الإنساني الذي تقوم به الدولة العبرية يتحكم بمفاصل حياة الفلسطينيين وعلى الرغم من ذلك كانت نسبة الفلسطينيين الذين يقولون أن الأسباب الداخلية هي سبب تخلف العالم العربي 44% وهي الأعلى مقارنة بالدول العربية الأخرى. وكانت نسبة الذين يقولون بأن أسباب التخلف هي خارجية أعلى نسبة في فلسطين مقارنة بالدول الأخرى. أي أن حالة الاستقطاب بين الأسباب الداخلية والخارجية كانت الأعلى في فلسطين. وهناك عدة أسباب يمكن أن تُفسر موقف المجتمع الفلسطيني. منها على سبيل المثال لا الحصر أن وجود احتلال وبطش وإعاقة للحركة وكل هذه الظواهر الاحتلالية ذات الأثر المباشر على حياة الفلسطينيين لم تدفع المجتمع الفلسطيني لتعليق الواقع السيء على الاحتلال وحده وإنما هناك مسؤولية داخلية لا بد من الاعتراف بها.

وفيما يتعلق بدور الجامعة العربية وما إذا كانت ناجحة أم لا في تعزيز العمل العربي المشترك فقد كانت الصورة سلبية عند اليمنيين كما هي عند بقية العرب. حيث أفاد نحو 58% من اليمنيين أن الجامعة لم تكن ناجحة في تعزيز العمل العربي المشترك، مقارنة بـ 79% من اللبنانيين، و 61% من الفلسطينيين، و 69% من الكويتيين، و 55% من المغاربة، و 50% من الأردنيين، و 64% من الجزائريين كما يوضح الشكل رقم 2.

إلى أي درجة تعتقد أن جامعة الدول العربية كانت ناجحة في تعزيز العمل العربي المشترك؟



يقف الرأي العام العربي اليوم موقف المُحبط العاجز عن القيام بشيء ما تجاه ما يجري في فلسطين ولبنان والعراق والسودان. ولهذا العجز أسباب داخلية وأخرى خارجية. كما أن المؤسسة التي ينبغي أن تقوم على الرأي العام العربي والاستجابة له لا تحظى بسمعة جيدة من حيث الفاعلية. جامعة الدول العربية تبدو بحاجة لإعادة تأهيل ذاتها مع الرأي العام العربي. ولكن الظروف الراهنة قد تؤدي إلى حالة من التدهور في سمعتها وتراجع دورها أمام الرأي العام العربي بشكل عام.

في فلسطين لا تبدو الجامعة العربية ومؤسسة القمة التي تديرها قادرة على إحداث أي تغيير يستجيب لحجم التحديات التي تفرضها الدولة العبرية الغاصبية في فلسطين. قوافل الشهداء تستمر وصرخات النساء والعزل تتعالى دون استجابة ترقى لمستوى المأمول أو حتى الممكن. هذا العجز الذي يراه الرأي العام العربي أصبح جزء أصيل من عمل الجامعة العربية التي تعكس ببنيته السياسية والمؤسسية توازن القوى العربية أو "الحرب الباردة" بين مراكز القوة التقليدية والناشئة ضمن المنظومة العربية. والخطر في الموضوع هو أن التعامل مع الكوارث التي يخلقها الاحتلال بحياة الفلسطينيين

أصبح عملاً روتينياً يقتصر على تصريح شديد اللهجة هنا أو هناك وما تيسر من "عمل الخير" الذي لا يغني ولا يسمن في ظل القهر الصهيوني المتعطر.

ومما قد يساهم في تدهور سمعة الجامعة العربية أكثر مما هي عليه بين العرب هو إمكانية فشل القمة العربية المنوي عقدها في دمشق في أواخر شهر آذار. ويظهر تداخل العوامل الداخلية والخارجية في تقدم أو تراجع العمل العربي المشترك جلياً في الملف اللبناني ومدى قدرة الجامعة العربية وقواها في إيجاد حل لمعضلة البلد السياسية. مبادرة الجامعة العربية لم تنجح بعد على الرغم من سلسلة طويلة من اللقاءات والمفاوضات المضنية والسبب هو تدخل القوى الخارجية (غير اللبنانية) في العمل السياسي اللبناني وجود صراع واضح المعالم بين اتجاهين سياسيين واستراتيجيين في المنطقة ولا يمكن لهما أن يتفقا في لبنان بمعزل عن ترتيبات الملفات الأخرى في فلسطين والعراق والسودان وإيران.

مستقبل الجامعة العربية أمام الرأي العام العربي مرهون بمدى قدرتها على الاستجابة للتحديات التي تواجهها الأمة العربية ودولها المنضوية تحت راية الجامعة. وفشل الجامعة له أسبابه الداخلية والخارجية والمشاركة بالضبط كما أن التخلف العربي له الأسباب ذاتها. فشل الجامعة الآن يعني فشل النظام العربي القائم بتنظيمه الحالي وتوازن قواه. ولا يمكن لنا أن تصور أن نجاح النظام العربي وجامعته العربية يمكن أن يتم بمعزل عن تفاهات إستراتيجية عربية ببنية من جهة وعربية – دولية من جهة أخرى. وهذا يتطلب إيجاد صيغة فاعلة للعمل العربي المشترك قابلة للاستمرار. الصيغة الراهنة هي غير فاعلة ويمكن اعتبارها عبئاً أكثر منها عاملاً مساهماً ردم هوة التخلف العربي. البديل للصيغة الأكثر فاعلية هو فكفكة الجامعة العربية لصالح نماذج أخرى للعمل العربي المشترك. تبقى إمكانية تطوير العمل العربي الهادف للتطوير والانتصار على التخلف رهن بما يملكون المال والقرار السياسي ولعل تجربة مجلس التعاون الخليجي تقدم نموذجاً جيداً يمكن دراسته لتقديم البدائل.